رسالة ستوكهوام

إحتجاجات وإنتقادات تزامناً مع تسلم هاندكه نوبل للأداب

نشرين الثاني (نوفمبر) **14** 2019 تحدى المتظاهرون أجواء البرد القارس يوم الثلاثاء وعبروا عن احتجاجهم على منح الكاتب النمساوي بيتر هاندكه جائزة نوبل للأدب لعام 2019بسبب تأييده للزعيم الصربي الراحل سلوبودان ميلوسيفيتش.ووصل هاندكه وأقرانه من الفائزين بجائزة نوبل للكيمياء والطب والفيزياء والاقتصاد إلى مقر في ستوكهولم لتسلم جوائزهم من ملك السويد في حفل كبير يقام مساء الثلاثاء.ولقي اختيار الأكاديمية السويدية للروائي والكاتب المسرحي النمساوي هاندكه انتقادات واسعة بسبب حديثه عام 2006 أثناء جنازة ميلوسيفيتش الذي توفي داخل محبسه في لاهاي بينما كان يمثل لمحاكمة بتهم ارتكاب جرائم حرب.وبينما وصل المدعوون إلى مقر الحفل في سيارات رفع نحو 12محتجا لافتات كتب عليها "لا نوبل للأخبار الزائفة ؟"في إشارة إلى تشكيك هاندكه في مقتل ما يزيد على 8000 من الرجال والصبية من مسلمي البوسنة في مذبحة سربرنيتشا عام 1995.ومن المتوقع أن يشارك المئات لاحقا في هذا الاحتجاج.وأعلن سفراء ألبانيا والبوسنة وكرواتيا وكوسوفو وتركيا مقاطعتهم حفل تسليم الجوائز.وفي وقت سابق يوم الثلاثاء قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إن الأكاديمية السويدية تقدم مكافأة على انتهاكات حقوق الإنسان بقرارها منح جائزة نوبل للأدب إلى هاندكه.

(ن) سجاح.. دراسة نقدية أسلوبية

قصائد ما بعد البوح

مصعب مكي زبيبة
الكوفة

إذا كانت اللغة على مستواها الاعتيادي لا تتعدى الإبلاغية والنفعية والتوصيلية، فإن اللغة على مستواها الإبداعي تتعدى هذه الإبلاغية المباشرة لتصل إلى مستوى الإثارة والاكتشاف والتفاعلية والتكثيف، وهنا نصل باللغة إلى مرجل الجمال ونيران الإبداع الذي يضطلع بها الشاعر أو الأديب بصورة عامة. وهنا تفقد الكلمة إطارها المعجمي لترسو على مرفأ من الدلالات المختلفة المحلِّقة في سماء السياق الرافض للركود والثبوت والتحجّر والتجمد... فتتصاعد العلاقات الاستبدالية في أفق عمودي مشرع في مستواه الاختياري. فالشاعر المبدع هو القادر على تثوير الطاقة التعبيرية الموجودة في اللغة في عالمها الافتراضي إلى الخصب والتوهج المتفجر بالدلالات الجديدة المتنامية. وهنا تظهر الفوارق قوية جلية بين أديب وآخر... بين أديب يستعمل في شعره أو روايته الكلام التوصيلي في سير أحداث قصته وآخر لا يقبل إلا أن يتعدى تلك اللغة الجافة المتخثرة غير الشاعرية، ولهذا اختار الأديب (حميد الحريزي) المتمدد في سماء الكلمة فهو الشاعر القاص الناقد اختار بل انحاز إلى اللغة الأدبية التي تتفجر فيها الطاقات اللغوية، كيف لا وهو الناقد العليم بوظيفة الشعر (الأدب) الذي مهمته ليس الإيصال الذي يحاكي ردود فعل المتلقي المادية والذهنية وحسب بل يتعداها إلى التموجات الشعورية والنفسية والوجدانية، هذا التثوير وهذا التفجير في الطاقات اللغوية في معجمها الثابت نجده واضحا جليا في مجموعته الشعرية (ن) سجاح التي طبعت عام 2019م عن دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع في بغداد السلام. ففي قصيدة (ومضات العشق) نجد الأديب (حميد الحريزي) قد صاغ عالم القصيدة من مرحلتين، مرحلة تنطلق من الحزن باتجاه الفرح الذي يتصاعد من الصمت والآهات نحو الرفض والحقيقة ولا سيما في المقطع الأخير التي تتبلور فيه المرحلة الثانية، إذ تعلن هذه المرحلة الانفراج من كوة الظلام والضجر... يقول الشاعر في كينونة المرحلة الأولى: سنوات استمرَّ نزيف الذكرى/ قولٌ خفيٌ خلفَ الرموشِ تبوح ولا تبوحُ/ تفتحُ البابَ فيداهمُها الظلامُ/ يتكورُ قلبي خلفَ مزاليج المحظور/ تحاصرني عطورُ الرغبة/ تتداعى أسوارُ الآهات المكبوتة/ يأسرني تنين العادات/ تلهبُ روحي نيرانٌ لا ترحمُ/ يطول الهمسُ المكظومُ/ تذرونا رياحُ الفرقة/ تتصحَّرُ أيامُ اللهفة/ تتراكم ثلوجُ اليأس/ تدلهم غيوم الحزن.... ويستمر الشاعر في إيراد ما يسري في نبضه الوجداني من نيران حارقة تحيط به في ساعات من تأملات مدمرة وذكريات متربصة سوداء؛ ليصل في نهاية قصيدته، أو مشاوراه الإنساني (النفسي) أو قل سيرته الذاتية (المرحلة الثانية)، إلى الانتصار على عوامل الترهيب والتعمية والفوضى والمجهول يقول الشعر في المقطع الأخير، وهو ما يشبه مصطلح حل العقدة أو النهاية في الأعمال القصصية والروائية: تترادفُ خيولُ غيوم الأملِ/ تبرقُ ترعدُ، تهطلُ فرحاً جبارا/ تطلُّ بوجهها الطلقُ/ يعود بريقُ العيون/ تلتحم الشفاه، يطول العناقُ عشقا مكبوتا/ يعودُ الفرحُ من منفاهُ/ فتبتسم براعمُ الربيعِ. فهل يكون هذا المقطع استشرافا للمستقبل أو أملا بعراق جديد، وطن خال من الظالمين؟!!، هل هو توقع للثورة قبل بوحها ووقوعها؟!!، هل هو استلهام للشباب للنهوض والرفض؟!!، هل هي انتفاضة تخرج من بركان الصمت بعد سنوات طويلة من الحرمان والتجهيل والتقزيم والظلامية؟!! كل تلكم الافتراضات والاستنتاجات والتساؤلات يتضمنها المقطع الأخير من القصيدة. وربما كلها صحيحة فالأدب صرح ممرد من التخييلات والاستنتاجات والتساؤلات. أما إذا وصلنا إلى قصيدة (ن) سجاح التي تعنونت بها المجموعة الشعرية ولا شك أن في ذلك دلالات منها أن القصيدة ذات مكانة متميزة في قلب الشاعر وأنها الأقرب إلى نفسه، أو أنها ذات عنوان متشظ موارب، إذ يأخذ أهليته من التراث العربي النحوي والتاريخي، فالنون تشير إلى نون النسوة، وسجاح تلك المرأة التي ادعت النبوة، فكانت المرأة الوحيدة التي تدعي ذلك. ولا شك في أن العنوان هو البوابة الأولى التي يلج منها القارئ، فالعنوان يتضمن كثيرا من المكنونات النفسية والوجدانية التي يمكن للقارئ التي يتعرف من خلالها على ميولات الشاعر ومضمون إيقاعات المعنى في القصائد. ومن العنوان يمكن أن نستنتج أن الشاعر متضامن مع قضية المرأة وأنه حريص على إظهار المرأة على أنها القمة الرفيعة والمثال الذي يحتذى به فهي الأم والحبيبة والمشاركة للهم الإنساني أخاها الرجل في الواقع الخارجي واللحظة الفاصلة في البناء والتعاون، هذا ما يمكن استنتاجه عند تلك البوابة المهمة من المجموعة ، أما إذا وصلنا إلى متن القصيدة فإن هذا الشعور وهذا الاستنتاج سوف يتعمق ويتجذر في نفس القارئ، فالقصيدة تضجُّ بالشاعرية المناصرة للمرأة، المناصرة لجمالها... المناصرة لعفتها... المناصرة لسكينتها... وطيبتها.. كيف لا وهي العشقية الملهمة والحورية الإنسية المضيئة الحبيبة الدافئة الزاهرة... يقول الشاعر في وصف نون الجمال والعشق والحب (ن) المرأة: اخلعي الأقراط والأساورَ/ اخلعي كلَّ الأثواب والسلاسلَ/ ارم كل الدبابيس/ فالجمال لا يستترُ. بهذه الكلمات الجريئة يبوح الشاعر، انه البوح المكشوف الذي يطرز قصيدته... أو قل إنه (ما بعد البوح)، فعشق المرأة هو الذي يسكن بين ضلوع القلب ويفترش الفؤاد على بساط من الشوق، العشق هو الجمرة التي لا تخمد والجرح الذي لا يلتئم والأنفاس التي لا ترقد أو تتأود والحرارة التي لا تبرد هكذا يصور الشاعر عشقه المتجرد (ما بعد بوحه) ، فهو لا يقبل أي حاجز اثني وإن كان حاجز جمال وزينة، ولهذا يطلب من المعشوقة أن تخلع الأقراط والأساور، فالتجرد هو الحقيقة الناصعة التي ترفض الغش والغل والزيف... أراد الشاعر نزع كل أساليب الخداع والآثام لتبدو المعشوقة (ن) سجاح بيضاء متالقة في سماء المحبة... يقول الشاعر: رعشةُ الحبِّ تأسرني بين النهدين جنتي، ميدانٌ للشمِّ وللضمِّ/ نجومُ السماءِ، جمهور

1

رعشةُ الحبِّ تأسرني بين النهدين جنتي، ميدانٌ للشمِّ وللضمِّ/ نجومُ السماءِ، جمهور اللعبِ/ نجومُ السماء تحاكمُ الحكمَ/ كلُّ الأقمارِ تهوي في زورقي/ مقبلةً أقدامَ عطرٍ ترسم منفرجَ النشوة.... بهذا الخصبِ وهذا البوح الجريء يمضي الشاعر بقصيدته التي تكشف عن ومضات من التكثيف الذي يوافق الممارسة الأدبية الواعية وبهذا الإعلان غير المكترث من التقاليد المجتمعية المتنخرة يمضي الشاعر في قصيدته إذ يقول في ومضة مكثفة من البوح: زورقي يتهادى بين ضفتي نهر/ الخلق ترتوي من شهد الرضاب/ فما أسعد شفة تعانق آلهة من عطر أ أناملا هذه أم أصابع لؤلؤ توسدها القمر؟ !!!/ سيدة الجان أنت أم أنت حورية تسكان البشر هكذا تَمضي المجموعة بكامل شاعريتها وتكثيفها مؤطرة بقضية إنسانية محفوفة بالمخاطر. وهل الشعر إلا إبحار ضد التيار؟!!

نسق ثقافي

حرص الشاعر على أن يلح على العلاقات الموطدة بين اللغة والمكنونات التي يوحي به النسق الثقافي والمجتمعي في فروض بين الرفض والاعتياد أو بين المألوف وغير المألوف، فقد اكد هذه الاستراتيجية في توصيف الأواصر الثقافية التي تدعو إلى التمرد وعدم القبول بما هو ثابت وسائد من مهيمنات يتلقاها المجتمع على أنها مسلمات متكاملة، ولكن النفس الأبية والعقل الناضج يرفض ذلك، إذ يجعل المنظور الثقافي التنموي هو الخطاب البديل وصولا إلى تنقية المجتمع من كل ما هو متعلق به من رواسب ومخلفات فرضها الاستعمار والعقل الجمعي السلبي، إذ يقول في تلك الاستراتيجية، وفي تلك العلاقات المتوترة. تحرقُ أوهامَ الظلام بين أنامل القبل/ يولدُ للحبِّ عيدٌ جديد. فلابد من ولادة عيد جديد يمحو أوهام الظلام التي عششت غربانها طولا على الأوطان والنفوس. ويتصاعد هذا الخطاب التنموي الرافض حتى انه يكفر بالمقدس الكاذب الذي يسيطر على العقول من اجل الاستغلال والكسب الحرام إذ يقول: قالت: حسبتني قديسة؟/ قلت: القداسةُ مداسٌ من طين، العطر روحٌ هائم، استبداله دلالة الشك والوصول موت الهدف. القداسة إذا كانت تجهّل الناس من اجل مكاسبها فإنها قداسة كاذبة مراوغة، وهي تختلف بالطبع عن القداسة الحقيقة التي تمتد بجذورها عميقا طهراً ونقاءً. ونلاحظ الشاعر يسخر العاطفة ومتغيراتها المتجانسة من اجل الوصول إلى الحدث المتنامي المتطور صعودا إلى سياقات من الأحداث التصويرية التي تتشابه إلى حد بعيد بالأحداث القصصية، وهذا ما شهدناه بالضبط بالمقطع السابق الذي يعتمد على تقنية الحوار، إذ يقول: قلت: الضحكة دالة التحدي، والتوقع أول أبواب اليقين قالت: حسبتني قديسة؟ قلت: القداسة مداس من طين، العطر روح هائم، استبدله دلالة الشكل والوصول موت الهدف. ضحكت بملء الفضاء، فتناثرت حولي الزهور وابتسم القمر. قلت: لك السعد دوما. قلت: ساكتفي بيوم، أهديتني أرقاً ، سأهديك قلادة من ماء، البسيها صديقتي لتشفيك من الظمأ. قالت: أيَّ ظمأ؟ قلت الآن اكتملت الحكاية.

ظهور مرجعيات

هذه الحوارية الشعروائية لها ما يفسرها فالأديب حميد الحريزي، أديب موسوعي فهو الشاعر والقاص فضلا عن انه ناقد... فلا بد من ان هذه المرجعيات ستظهر لا إراديا على نتاج الأديب، وهذا التماوج والتزاوج بين جنسين أدبين لابد أنه سوف يؤلف صورة ستكون أقرب لنيل الغرض المقصود وهو التأثير العاطفي والعقلي عند المتلقي. وتعد هذه الدراسة دراسة نقدية تتوسل بالدرس الأسلوبي بوابةً لفهم النص وفك شفرته، إذ عرفت الأسلوبية بأنها الوجه الجمالي للألسنة، تبحث في الخصائص التعبيرية والشعرية التي يتوسلها الخطاب الأدبي، وترتدي بذلك طابعا علميا تقريريا في وصفها للوقائع وتصنيفها بشكل موضوعي، ومنهجي. أي أنها التحليل العلمي اللغوي الذي يركز على مواضع البروز والتفوق.. ولا نعدم هذه المواضع ظاهرة بارزة، في أماكن كثيرة من المجموعة، إذ يقول في إحدى هذه المواضع الأسلوبية التي تعتمد على الابتكار والاختيار في طرحها الثقافي. أيها البحرُ هل تدلني عليه؟/ النورس المسحور/ حامل البهجة والسرور/ عشيق الشمس نورسي يلاحق حور البحر/ حبيبي عشيق الرياض والزهور/ هل سجل عندكم حضور. وهذا المقطع كما هو واضح اعتمد بالدرجة الرئيسة على تقنية السؤال الذي يخرج إلى غرض أسلوبي آخر هو الدلالة على الحيرة والبحث عن الجمال، ويعتمد أيضا على تقنية النداء، التي تخرج أيضا إلى غرض آخر هدفه مد الصوت والبحث عن من يسمعه ويستجيب له. وعندما نصل إلى قصيدة (لسان الورد) وهي القصيدة الأخيرة في المجموعة نجدها تضم مجموعة من المقاطع التي قد يخطر ببالك عندما تقرأها أنها مقاطع متشتة لا يجمعها عقد واحد، ولكن من يدقق ويعيد قراءتها سيجد خلاف ذلك تمام/ سيجد التزامنية بأجلى صورها وأجملها أي بمعنى الانسياب الوديع الرقراق لعدة مواضيع تتوافق في إطار واحد معتمد على تقنيات المكاثفة والتلخيص. يقول الشاعر في إحدى المقاطع: وريقات الورد لا تعرف الجفاء / وريقات الورد تعتصر نسغ روحها لتولد الثمار. ويقول في مقطع آخر: الماء لا يعرف الأنساب/ الماء أودعنا نون النسوة / الماء يروي الكل / لأننا جميعا أولاده. فلنحظ التوافق والاندماج الموضوعي واضحا في كلا المقطعين فوحدة المقاطع هو العطاء والتواصل في البذل... فمن يعطي لا يعرف الجفاء ، ولا يعرف الأنساب، من يعطي يعتصر نسغ روحه لكي يروي الكل .. فالشاعر هنا يوفق في توليد تزامنية وذلك من خلال ما يظن أنه يفتقد للوحدة الموضوعية ، وهنا يبرز الإبداع أو ما يعرف بكسر المألوف لتوليد نسق سمفوني متجانس متماسك معنى ولفظا على الرغم من أنها تصدر من آلات موسيقية مختلفة. نلاحظ هذا النسق السمفوني أيضا من خلال قول الشاعر : الليل لا يخشى السعالي / الليل تعانقه الشمس / بشفاه الفجر الحمراء، فينتحر. وفي المقطع الأخير: الأجفانُ لا تغلق أبواب الهمِّ/ الأجفانُ تحجبُ رمادَ الحرب، فيغادرُ النومُ عيونَ الأطفال وفي النهاية لابد من الإشارة أن المجموعة غنية بمدلولاتها الأسلوبية والمعنوية والموضوعية وارى أن دراسة من هذا النوع تعتمد على الإشارات القصيرة والومضات السريعة لا تكفي، ولهذا أدعو طلبتنا في الدراسات العليا إلى تكثيف البحث عن هذا الغنى وهذا البروز الفني الظاهر، وعدم الركون إلى ما هو سائد وجاهز من دراسات قد أشبعت بحثا وآن الأوان إلى التجديد النقدي من خلال البحث عن موضوعات غير مدروسة جديرة بالدرس والقراءة وخير دليل هذه المجموعة التي أصفها بالغنية في تمردها على السائد والمألوف.

صدر للمؤلف:
روائية ثلاثية (محطات) ومجموعة قصصية بعنوان (أرض الزعفران) ومجموعة قصص قصيرة وقصيرة جدًا بعنوان (المصابيح العمياء) ومجموعة شعرية بعنوان (مشاهدات مجنون) وكتاب فكري بعنوان (الدين السياسي).

تصميم: فلاح العيساوي
fffhh9@gmail.com

بغداد - شارع المتنبي
مجمع العياني - الطابق الاول
هاتف: 009647714543692
تصميم: علي كاظم الشويلي

ن سجاح
حميد الحريزي
شعر

حميد الحريزي

(ن) سجاح

ما أكرمَ
مَنْ يملكُ مفتاحَ الخَلق
مِن يملكُ سرَّ الغربِ وسرَّ الشرقِ
يا (نون) العمر
من علمِّكِ
معنى
الخَتم؟؟
من ملكك سحرَ الوشمِ؟؟
سيدتي
لم تُخْلَقْ
كفوفكِ للكَنس
أناملكَ
خُلِقَتْ للَثلم
يا أمَّ الدنيا لو لا شَفَتاكِ
ما نَفعُ فَمي؟؟؟
رعشةُ الحبِّ تأسرُني
بين النهدينِ جنتي، ميدانٌ
للشمِّ وللضمِ
نجومُ السماءِ، جمهورُ اللعبِ
نجومُ السماءِ
تحاكمُ
الحَكَمَ

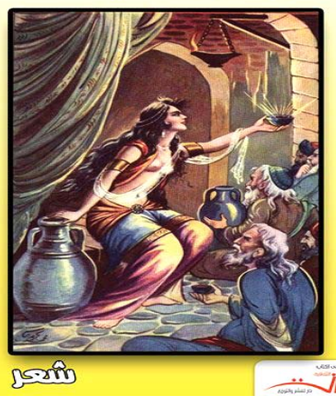

شعر

غلاف المجموعة

الذات والمؤسسة في رواية أجنحة الفراشات

رصد المناخ الثقافي العام

احمد نجم
بغداد

تحتاج رواية أجنحة الفراشات إلى قراءات متعددة، من أكثر من زاوية، وعلى اكثر من صعيد، ومن وجهات نظر مختلفة. ربما يعود ذلك إلى طول النص، والكيفيات التي تركبت فيها شخصياته، وساهمت الظروف التاريخية الصعبة في صناعة مصائرها. وتعدد وتنوع الأسئلة والموضوعات التي تثيرها وتستدعيها. وعلى الرغم من الدلالات المهنية والجندرية للعنوان، فإن الرواية في جوهرها نص تاريخي، حاول رسم تحولات وتناقضات مشهد الواقع في لحظة من لحظات بداية الألفية الثالثة، في اربيل خصوصا بقدر أكبر من المساحة والموصل تاليا، وتأشير منحنيات التطور والتدهور فيهما..

"ضغوطات وتحديات.."

والرواية بعد ذلك حاولت ترصد المناخ الثقافي العام الذي كان مهيمنا في أربيل بعد التغيير في 2003 بما ينطوي عليه من تناقضات، وما يفرزه من مظاهر، في عملية تحول تاريخية متسارعة، وصعبة. ومنعكساته على شخصياتها العاملة في الصحافة، وهي الترمومتر الدقيق للحياة الثقافية فيها. هنا تبدأ قراءتنا للنص، قراءة تشتبك فيها أسئلة المهنة الصعبة بتطلعات وأحلام الصحافيين والصحافيات، نوع من صراع البنى المختلفة ثقافيا، في سياق من صراع تاريخي بين الذات الصحافية والمؤسسة. فالثلاثة جمعتهم مهنة الصحافة. نسرين محررة الصفحة الاجتماعية في جريدة شورش اليومية. قاسم محرر أول في مجلة فضاءات الإعلامية المتخصصة، وبيبي عضو هيئة تحرير ذات المجلة. فضاءات مجلة معنية أولا بحرية الصحافة والإعلام، والدفاع عن أوضاع الصحافيين، وهي لهذا السبب على صلة قوية بالوسط الإعلامي. يتعرض الثلاثة لضغوط وتحديات عديدة. قاسم بسبب جهله اللغة الكردية، وهويته الموصلية، حاول البعض إبعاده عن المجلة بوصفه طارئا ومتطفلا على الصحافة الكردية، لكن رئيس المنظمة التي تتبنى إصدار المجلة، وهو رئيس تحرير المجلة أيضا، كان داعما له، مقدرا دوره وامكاناته بشكل عال، ولم يسمح لتلك الضغوط بأن تؤثر على عمله. بيبي تتعرض لضغوط أكبر نتيجة الجرأة الكبيرة في استقصاءاتها الصحافية، وكشفها لجوانب بالغة الخصوصية من معاناة الصحافيات والإعلاميات، من جهة زميلاتها في الوسط، أولا، متهمينها بكشف اسرار حياتهن وأحوالهن، ومن طرف بعض الصحافيين من الحرس القديم، الذين لا تتقبل ذهنياتهم مثل هذه المقاربات، وما تثيره من أسئلة وموضوعات. لكن الزميل رئيس التحرير كان مدركا لأهمية تلك التحقيقات بكل ما تنتجه من اصداء. مؤكدا أن موضوعا لا يثير أسئلة وهواجس القراء والمعنيين لا يستحق النشر. ونسرين محررة صفحة المجتمع في جريدة شورش، تشعر أن صفحتها تحولت بفعل الرتابة إلى صفحة أحداث ووقائع، ومجال عملها محصور بين المشافي ومراكز الشرطة، والمحاكم، والسجون. لكنها حين تسعى لتغيير هذه الصورة تصطدم بمقاومة رئيس تحرير، يعتبر مواضيع تتعلق بالحب مثالا أو الفن ضربا من ترهات لا تليق برصانة جريدته. وحين يوافق على عمل ريبورتاج يتعلق بالدراما الكردية، يطلب منها حذف بعض الآراء الواردة فيه التي تشير إلى شيء من التقصير من جانب الحكومة، ويفرض عليها إعادة ترتيب مواد التقرير بحسب أولويات رسمية، تضع رأي الوزير في المقدمة. وحين ترفض ذلك، قائلة إما أن ننشر التقرير كاملا، أو نرفض نشره. يستبد به الغضب، فيصدر أمرا بنقلها إلى قسم الحسابات في الجريدة. منذ هذه اللحظة تبدأ حربها ضد هيمنة مثل هذا النمط من رؤساء التحرير. مدعومة بقوة من جانب زملائها الصحافيين الشباب. هذه الحرب الطويلة والصعبة في الرواية مثيرة جدا، بتفاصيلها ومفاجآتها ونتائجها. وفيها تتبدى صورة المهنة الصحافية بوصفها نوعا من عشق، او سحر، أو تلبس، أو مقدس، أو دين، يجعل الابتعاد عنها ضربا من مستحيل. لقد حولت الرواية صناع الخبر إلى مادة لاشتغالها. وألقت الضوء على كثير من الجانب الظليل والمعتم من حياتهم أو حياتهن، وأزاحت الستارة عن كثير من اسراره، واشكال المعاناة فيه.

منافي

بالإضافة إلى نزعة الدفاع عن حق المجتمع في صناعة إعلامية تتسم بالمهنية والموضوعية، وتعبر عن الحاجات العميقة للتطور، لا عن المصالح الضيقة للأحزاب، ومؤسساتها، فإن ما وضع شخصيات الرواية في سياق واحد، وجعل تماسكهم قويا، على نحو غير قابل للخلخلة. كان نوعا من خوف، أو من شعور غامض بخطر، تنتشر رائحته في الهواء من حولهم. ربما كان الإحساس بالمنفى هو الغالب عليهم، فهم مكتفين، على صعيد العلاقات والنشاط المجتمعي، ببعضهم إلى حد كبير. الإحساس بالمنفى هنا لا علاقة له بأسباب الغربة المعروفة، إنه ضرب من الإحساس بالتفرد، والإنعزال، الذي يشعر به المثقف الطليعي، حين لا يصادف القدر المعقول من التفهم من محيطه، والإدارات التي تتحكم به وبعالمه. وهو في الرواية حالة قدرية، لم تنج منها حتى المجلة. كانت المجلة نفسها صوتا صارخا في برية مقفرة، تستقبل من قبل المؤسسات الإعلامية بالترحاب، بقدر ما تخدم منشوراتها مصالحهم، وتروج لهم، لكن لا أحد يلتفت إلى مقترحاتها، وسرودها، ونقودها، ومراجعاتها، للعديد من البرامج، والخطابات، والقنوات.

قاسم: ثنائية المكان

بيد أن عمق مشاعر الغربة متفاوتة بينهم. بالنسبة لقاسم كانت الغربة أشد وطأة، فهي غربة مكان ولغة وفكر. وكان وجود بيبي ونسرين إلى جانبه ضروريا للتغلب على تلك المشاعر. كانت كردستان بالنسبة إليه ليست واحدة، هناك كردستان الرسمية المترفة والمترهلة والدعية والحزبية،الأبوية والذكورية، كان يشعر بالقلق والغربة إزاءها. وكردستان أخرى كان يشعر بالإنتماء القوي إليها، إنها كردستان بيبي ونسرين. كردستان الطبيعة الجميلة المؤنثة المختلط هواؤها بروائح التين البري، القادمة من المنحدرات والغابات والجبال. في أكثر من مكان في الرواية يشير قاسم إلى هذه الثنائية في مشاعره وتصوره لوجوده هناك. يكتب في صفحة 419واصفا لحظة كان يراقص فيها بيبي:"كانت تفعم أنفي الملامس تقريبا لرأسها رائحة عجيبة، ساحرة، خليط من روائح الازهار والأعشاب البرية وأوراق التين، تلك الرائحة التي تميز جبال كردستان، كنت اشعر أن أرض كردستان هي التي تضمني إلى صدرها، في حب حقيقي وعميق، وأن بيبي هي كردستان الطبيعة والثقافة والحلم"

بيبي: حرية مهددة

بالنسبة لبيبي كان منفاها مختلف تماما، فهو ليس منفى لغة، لكنه منفى مكان إلى حد ما، ومنفى فكر وثقافة وذات. فهي مرتبطة بالموصل، مدينة طفولتها ومراهقتها وشبابها، متمثلة بشخصية لؤي أول حب في حياتها، لؤي لم تختف صورته في داخلها، لقد تحول إلى نوع من معيار لأي شاب يمكن أن تقبل به. وحين وافقت على شيرزاد في النهاية، شعرت بسرعة بالورطة التي أوقعت نفسها فيها، وفعلت المستحيل من أجل الخلاص منها. وبدل من أن تعود إلى بيت أهلها، بعد فشل ذلك الزواج، فإنها وظفته، في التمسك بحقها في حرية مكتسبة حتى لو جاءت من زواج فاشل. هكذا بدأت مشوار حياتها بعد انفصالها عن شيرزاد بكذبة كبيرة، ادعت أمام أمها أنها تعيش مع شيرزاد حياة عادية. وهومنشغل بأعماله التجارية المتعاظمة. ونتيجة ذلك كانت واقعة تحت الشعور بثقل كذبتها، وهي تعاني الخوف من إنكشافها، وتحس بأن ثمة من يراقبها. هذا الإحساس بالمراقبة كان يثقل عليها، ويملأ حياتها بالإحساس بالخطر، كانت تشعر أن حريتها مهددة وزائفة. كانت تتجنب السير في الطرق الرئيسية، وترفض اي عمل إعلامي في القنوات الفضائية، يجعلها في مركز الإهتمام العام، ويثير الحكايات حولها. الدراما العنيفة في شخصية بيبي تتمثل في تمرداتها المتفجرة، وتتلخص بتحملها كل هذه الضغوط من اجل التمتع بقدر ضئيل من الحريات الصعبة مرة المذاق.

"ضد بيروقراطية المؤسسة.."

المنفى بالنسبة لنسرين كان منفى ثقافيا بامتياز، تجلى في مواقفها من القضايا التي تخص مهنتها، وأدى في النهاية إلى حرمانها من العمل في تحرير صفحتها الأسبوعية، وتحويلها للعمل في قسم إداري. وتمثلت أقسى أشكاله فيما بعد في نقلها للعمل في مجلة نسوية شهرية عاطلة. في هذه اللحظة بدأت حربها ضد أسباب نفيها، التي تبلورت بصورة قوية في قرار إبعادها عن العمل التحريري. لم تكن حربا سهلة في مواجهة بيروقراطية مؤسسة شورش الصحافية، المدعومة من المكاتب الحزبية. كانت تشعر بثقل المؤسسة من قبل، وما تمثله من ضغط ورقابة على المواد التي تود نشرها، بيد أنها الآن في مواجهة مباشرة معها. في هذه اللحظة وجدت في الوسط الصحافي غير الرسمي، دعما غير متوقعا، ومفاجئا إلى حد بعيد، تحولت في غضون أسابيع إلى بطلة من بطلات حرية الصحافة. بعد رحيل بيبي، واختفاء قاسم إثر عودته إلى الموصل، وتوقف جريدتها عن الصدور، تواجه نسرين تحديا مختلفا، تمثل في ثقافة التشدد الديني، التي تسللت إلى ابنها، عن طريق والد زوجته، وتقرر في لحظة تمرد مغادرة أسرتها، في أبلغ تعبير عن غربتها، غربة المثقف والفنان عن مجتمعه، بحثا عن منفى جديد، وبداية جديدة.

مؤسسة من نوع آخر

تمثل منظمة فضاءات التي تصدر مجلة فضاءات نوعا مختلفا من المؤسسات الإعلامية، فهي منظمة نقابية مهنية، تقع إلى حد ما خارج حدود تأثير الأحزاب المهيمنة، رغم أن معظم أعضائها لهم صلات متفاوتة القوة بالأحزاب، وهي تاليا لا تستطيع إنتاج خطاب نقدي يمس قواعد وأسس النظام السياسي، بيد أنها تستطيع ممارسة نوع من رقابة، وتصويب، ونقد للكثير من البرامج، والمواد الإعلامية المتداولة. يتوفر للعاملين في هذه المؤسسة قدرا أكبر من الحرية، وقدرة على رسم سياسة تحريرية مستقلة عن الاتجاه العام السائد. هنا في هذه المؤسسة يعمل قاسم وبيبي في إنسجام مع قيادتها، التي شكلت مظلة كبيرة لحماية صحافييها من تدخلات وضغوطات كثيرة متعددة ومتباينة الدوافع والأسباب.

خلية دم بيضاء

واحد من أوجه الخطورة في الرواية أنها تتعامل مع مادة الإعلام سريعة الإحتراق. وهي بسبب إدراكها العميق لأهمية الإعلام، في التأثير والتحكم بأفكار الناس، وهو كما يقول دوبريه: يفكر بالنيابة عنا في كثير من الأحيان. كرست نفسها للتأريخ لمجلة فضاءات، ودورها في مقاومة الإنحرافات في الخطاب الإعلامي. يمكن تمثيل دور المجلة بخلية دم بيضاء، تقاوم بشراسة واستماتة الأمراض التي تفتك في الجسم الإعلامي، وهو العقل المفكر والمؤثر في الجسم التاريخي الكبير، جسم المجتمع. خلية دم بيضاء صغيرة، في مواجهة ضارية مع جراثيم الحزبية الضيقة، والهويات الصغيرة، والإنغلاق على الذات، ونشر خطابات التعصب والكراهية، مقابل إهمال القضايا التي تمس الحاجة إليها، ويتعين على المجتمع التفكير بها، وطرح أسئلتها. هذه الخلية البيضاء الصغيرة لم يكن بوسعها طبعا المواجهة المباشرة مع تلك النزوعات المرضية الطاغية في الإعلام، كانت تدرك أنها مواجهة محكوم عليها بالهزيمة والفشل، فكانت تحاول تسريب مقاومتها عبر نشر برامج تهتم بالصحة والبيئة والأسرة للتخفيف من نبرة الخطاب الإعلامي السياسي المحموم، وهذا ما قصدته بيبي من نشر ملفها الخاص: نحو تأنيث الإعلام. وهذا ما سعى لتحقيقه أعضاء خلية الدم البيضاء، هيئة تحرير مجلة فضاءات، عبر تأسيسهم لمنظمة روز الإعلامية. إعلام في خدمة المجتمع. وبعد.. سيتعين علينا من دون طائل كتابة الكثير إذا حاولنا تقديم ملخص للرواية.

إن رواية تتألف من مائة ألف كلمة لا يمكن وفق اي منطق اختزالها بألف كلمة. وبالتالي لا غنى لمن يهمه الأمر عن قراءتها.

غلاف الرواية